أرْبَعُونَ الجُوعِ والجِياع وغوثُ الأصحابِ والاقتناع

إعداد وتعليق
د. حمزة بن فايع الفتحي

جزء (٢٠)

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

المُبتدأ

الحمد لله حمدًا كثيرا طيبا مباركًا فيه، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين ...

أما بعد :
فإنه لمّا لوحظ طغيانُ بعضِ الناس في النعم والموائد ، وتنافسُهم الشهواني والكمالي، وتهميشُ طبقات أخرى وإفقارُها وتجويع شطر عالمي غير قليل، وظهور أزمة اقتصادية خانقة من جراء الوباء العالمي (كورونا)، ناسب أن نذكر الجميع بالهدي النبوي في الجوع والمجاعة، ومعالجة القحط والقناعة، من خلال تتبع نصوصها، وحال رسول الله فيها، وكيف واجهها وتحملها هو وصحابته الكرام، وكان لها أبلغ الأثر في صقل شخصياتهم وتربيتهم على الجد والصبر، ومعاقرة أرزاء الحياة..! وإلا لما تم لهم فتح الدنيا، وتجاوز الحظوظ، ودرء البلايا ، وترسيخ المبادئ .
وهكذا هي المعالي لا تُقتحم إلا على جسر من التعب والتصبر والجوع ، ولم يكترثوا للدنيا ومناصبها موائدها وشبعها وسحرها .
بل عاشوا كيف ما اتفق، وساروا على حزم وعمل ، وكانوا أهلَ تقدم وبذل .
ومن فوائد التذكير بنصوص الجوع ، الخروج من الحالة الترَفية المعاصرة، وتجاهل الفقراء والمعدمين، وتسلط القانون الطبقي ، والاستنان بالهدي النبوي في التقلل والاقتصاد ، وأن الانفتاح الدنيوي مضرة فوق مضرة،

وبوابة لإشعال العداوات والتخاصم الاجتماعي، وظهور ثلة قارونية متوحشة، لا تأبه بالآخرين، وتتلذذ بهوانهم وتهميشهم....

فتحتّم التذكير والإحياء ، وتعيّن التنويه والإثراء، لإخراجهم من حالة الإثراء الطاغي، والمالية القاتمة، ليعودوا إلى رشدهم، ويتذكروا إخوانهم، ويؤدوا زكاة أموالهم، ويقتسموا الرخاء بينهم وبين الجياع والمشردين ...!

وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح :(فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يَطعم ، وليُلبسه مما يلبس) .

ويؤلمنا أشد الألم استئثار طبقة بالمال والثراء دون مبالاة بالطبقة الكادحة، وجيوب الفقر المنتشرة في الآفاق ، وقد صح حديث؛(من لا يَرحم لا يُرحم).

فهلموا إلى حديث القلب والرحمة، ونصوص البر والمواساة، التي فاضت بها السنن الصحاح ، علّها تملأ قلوبنا وعظا ورحمة، وتمنحنا شكرا وقناعة ، والله الموفق والهادي الى سواء السبيل ...

١٤٤١/١١/١٢هـ

١- الحديث الأول : إطعامُ الجَوعَى :

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فُكُّوا الْعَانِيَ - يَعْنِي الْأَسِيرَ - وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ). البخاري (٣٠٤٦).

في الحديث وجوب إطعام الجائع، وتعاضد المسلمين ، وكراهة الانعزال وعدم السؤال عن المحتاجين .

٢- الحديث الثاني : مَلمحُ الجوع :

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ : أَبُو شُعَيْبٍ كَانَ لَهُ غُلَامٌ لَحَّامٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ : اصْنَعْ لِي طَعَامَ خَمْسَةٍ لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَامِسَ خَمْسَةٍ. وَأَبْصَرَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجُوعَ فَدَعَاهُ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ لَمْ يُدْعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ هَذَا قَدِ اتَّبَعَنَا، أَتَأْذَنُ لَهُ ؟ " قَالَ : نَعَمْ. البخاري (٢٤٥٦) مسلم (٢٠٣٦).

فيه بيان جوع رسول الله وتحليه في محياه، وحرص الصحابة الكرام على إكرامه ، وتفقد المجتمع المسلم لبعضهم، وتلمس الفضلاء للموائد .

وقال في الفتح رحمه الله:" وفيه أن من صنع طعاما لغيره فهو بالخيار بين أن يرسله إليه أو يدعوه إلى منزله، وأن من دعا أحدا استحب أن يدعو معه من يرى من أخصائه وأهل مجالسته.

وفيه الحكم بالدليل لقوله " إني عرفت في وجهه الجوع ". وأن الصحابة كانوا يديمون النظر إلى وجهه تبركا به، وكان منهم من لا يطيل النظر في وجهه حياء منه كما صرح به عمرو بن العاص فيما أخرجه مسلم، وفيه أنه كان صلى الله عليه وسلم يجوع أحيانا، وفيه إجابة الإمام والشريف

والكبير دعوة من دونهم وأكلهم طعام ذي الحرفة غير الرفيعة كالجزار وأن تعاطي مثل تلك الحرفة لا يضع قدر من يتوقى فيها ما يكره ولا تسقط بمجرد تعاطيها شهادته، وأن من صنع طعاما لجماعة فليكن على قدرهم إن لم يقدر على أكثر ولا ينقص من قدرهم مستندا إلى أن طعام الواحد يكفي الاثنين،"

٣- الحديث الثالث : تغيّرُ الصوتِ من الجوع :

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ : لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي، وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ ؟ ". فَقُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ : " بِطَعَامٍ ؟ ". قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ : " قُومُوا ". فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتِ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ ؟ ". فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَأَدَمَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ

يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ : " ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ ". فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ : " ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ ". فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ : " ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ ". فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا. البخاري (٥٣٨١) مسلم (٢٠٤٠).

فيه بيان أثر الجوع وتأثيره في صحة صاحبه وصوته، وفضل ابي طلحة، وصلاح زوجه وحُسن تعاونها معه، وشعور المؤمنين بإخوانهم، واستحباب الاجتماع على الطعام والدعاء بالبركة، وتفريقهم حين الكثرة وضيق المكان .

قال في الفتح: فيه العمل على القرائن، ووقع في رواية مبارك بن فضالة عن بكر بن عبد الله وثابت عن أنس عند أحمد: " أن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا "

٤- الحديث الرابع : أكلُ الخبَط من الجوع وجيش الخبط :

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَمِائَةٍ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ، حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبَطَ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْخَبَطِ، فَأَلْقَى لَنَا الْبَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا : الْعَنْبَرُ، -أي سمكة بحرية كبيرة- فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ حَتَّى ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَنَصَبَهُ، فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ. قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً : ضِلَعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَنَصَبَهُ، وَأَخَذَ رَجُلًا، وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ. قَالَ جَابِرٌ : وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثَ

جَزَائِرَ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ. البخاري (٤٣٦١) مسلم (١٩٣٥).

فيه بيان الوضع المعيشي للمجتمع النبوي وبروز فقرهم واحتياجهم ، وقلة الموارد آنذاك . وفيه مشروعية المواساة بين الجيش عند وقوع المجاعة، وأن الاجتماع على الطعام يستدعي البركة فيه، وحل ميتة البحر، وصبر الصحابة وتحملهم في سبيل الله واكل اللحم ولو أنتن ، أو أنهم قدموه بالملح فحفظ ، وأنه يجوز للمضطر ما لا يجوز لغيره ، وأكل شجر الخبط ، وباتوا به جيش الخبط، وتفريج الله لعباده المؤمنين الصابرين.

٥ـ الحديث الخامس : جوعُ الأصحاب الثلاثة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ : " مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ " قَالَا : الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا ". فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ : مَرْحَبًا، وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيْنَ فُلَانٌ ؟ " قَالَتْ : ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ : فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ : كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ ". فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ ". مسلم (٢٠٣٨).

فيه بيان جوع الأصحاب الثلاثة، وجوع الفضلاء، وثبوت الابتلاء بالجوع ، ووجوب حفظ النعم وأنها من النعيم المسؤول عنه يوم القيامة.

قال النووي رحمه الله :" هذا فيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكبار أصحابه رضي الله عنهم من التقلل من الدنيا ، وما ابتلوا به من الجوع وضيق العيش في أوقات ، وقد زعم بعض الناس أن هذا كان قبل فتح الفتوح والقرى عليهم ، وهذا زعم باطل ؛ فإن راوي الحديث أبو هريرة ، ومعلوم أنه أسلم بعد فتح خيبر ،... ومنها استحباب إظهار البشر ، والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالى وهو يسمع على حصول هذه النعمة ، والثناء على ضيفه إن لم يخف عليه فتنة ، فإن خاف لم يثن عليه في وجهه ،.."

٦ـ الحديث السادس : التعوذ من الجوع :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ). أبو داود (٥٤٦٨) وسنده صحيح .

فيه استحباب التعوذ من الجوع، لما يورثه من الضعف وسوء الخلق، وحاجة المرء للطعام لغريزة البقاء .

قال الشيخ السندي رحمه الله : بفتح فكسر من ينام في فراشك أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات ويشوش الدماغ ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات

الباطلة والبطانة بكسر باء موحدة في ضد الظهارة وأصلها في الثوب فاتسع فيما يستبطن من أمره .

٧- الحديث السابع : الجوع المذموم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ). ابن ماجه (١٦٩٠) . وسنده صحيح .

فيه ذم جوع الصائم المرائي بعمله، وأن جوعه وتعبه لا يشفع له ما لم يصحح النية، ويعالج المقصد .

قال الشيخ السندي رحمه الله في الحاشية: أي ليس لصومه قبول عند الله فلا ثواب له .. نعم سقوط التكليف عن الذمة حاصل عند العلماء .

٨- الحديث الثامن : التلوي من الجوع :

عن عُمَرُ رضي الله عنه قال :(مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلًا-أي ردئ التمر- يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ). مسلم (٢٩٧٨) ابن ماجه (٤١٤٦) ولفظه يلتوي من الجوع .

فيه شدة الجوع وتلوي صاحبه منه كما حصل لرسول الله أحيانا عليه الصلاة والسلام .

قال السندي رحمه الله يلتوي :" قيل أي يتقلب ظهرا لبطن ويمينا وشمالا وقال له الطيبي الالتواء والتلوي الاضطراب عند الجوع والضرب ".

٩- الحديث التاسع : جوعُ أهلِ الصفة:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا أُعْطِيكُمْ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَلَوَّى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ ". وَقَالَ مَرَّةً : " لَا أُخْدِمُكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى ". المسند (٥٩٦) وسنده قوي .

فيه بيان جوع أهل الصفة، وهم اضياف الإسلام ، فقراء يسكنون المسجد النبوي قدموا من قبائل شتى وغالبهم من المهاجرين القرشيين . وفِي الحديث بيان ما كان يلحقهم من وقع الفقر، وكان رسول الله يهاديهم الطعام ويشاركهم .

١٠ـ الحديث العاشر : تجويع الحيوانات :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)-أي هوامها وحشراتها- . البخاري (٣٤٨٢) مسلم (٢٢٤٢) . وفي لفظ (حتى ماتت جوعًا).

في الحديث بيان ضرورة المخلوقات إلى الطعام، وحرمة التعذيب بالتجويع ، وقبح معذّب الحيوانات، وأن مصيره النار، ما لم يتب .

قال في الفتح : " وظاهر هذا الحديث أن المرأة عذبت بسبب قتل هذه الهرة بالحبس، قال عياض: يحتمل أن تكون المرأة كافرة فعذبت بالنار حقيقة، أو بالحساب لأن: " من نوقش الحساب عذب .. وفيه جواز اتخاذ الهرة ورباطها إذا لم يهمل إطعامها وسقيها، ويلتحق بذلك غير الهرة مما في معناها، وأن الهر لا يملك، وإنما يجب إطعامه على من حبسه، كذا قال القرطبي، وليس في الحديث دلالة على ذلك. وفيه وجوب نفقة الحيوان على مالكه،.."

١١ـ الحديث الحادي عشر : أكلُ الجائع البائس :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْرٌ، فَجَعَلَ يَقْسِمُهُ بِمِكْتَلٍ وَاحِدٍ، -أي زنبيل- وَأَنَا رَسُولُهُ بِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُ. قَالَ : فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَهُوَ مُقْعٍ أَكْلًا ذَرِيعًا ، فَعَرَفْتُ فِي أَكْلِهِ الْجُوعَ. المسند (١٣١٠١). بسند قوي .

فيه بيان شدة الجوع على صاحبه، وفقدانه للنعمة ، وضعف ابن آدم أمام شهواته، وإن كان الأصل التأدب في ذلك ، إلا أن الشدائد تذهب التركيز والعقل .

١٢ـ الحديث الثاني عشر : أكلُ البصل من الجوع :

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى زَمَنَ خَيْبَرَ عَنِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ، فَأَكَلَهُمَا قَوْمٌ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَمْ أَنْهَ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الْمُنْتِنَتَيْنِ ؟ " قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَجْهَدَنَا الْجُوعُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَكَلَهُمَا فَلَا يَحْضُرْ مَسْجِدَنَا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ . المسند (١٥١٥٩).

فيه كراهة أكل البصل والبقوليات حين الصلوات ، وأذية الملائكة منها، وأن الجوع سبب في التكثر منها .

١٣ـ الحديث الثالث عشر : تسليط الجوع :

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُنَيْنٍ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ. قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ نَبِيًّا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ أُمَّتُهُ، فَقَالَ : لَنْ يَرُومَ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ. قَالَ : فَقَالُوا : أَمَّا الْقَتْلُ أَوِ الْجُوعُ فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ ". قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَمَاتَ فِي ثَلَاثٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ". قَالَ : فَقَالَ : " فَأَنَا أَقُولُ الْآنَ : اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ ، وَبِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ ". المسند وإسناده صحيح. (١٨٩٣٣).

فيه أن الجوع من جنود الله يسلطه على من يشاء من عباده . قال الإمامُ الشوكاني في تحفة الذاكرين :"قوله بك أصول: أي أسطو وأقهر وهو من المصاولة وهي المواثبة، قوله وبك أحاول : بالحاء المهملة أي أتحرك وقيل أحتال ، وقيل أدفع وأمنع وقيل أتحول" وفيه ذم العجب، ووجوب الافتقار إلى الله تعالى .

١٤- الحديث الرابع عشر : مجاعةُ الخندق :

عن أيمن الحبشي قال: أَتَيْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ : إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، -أي قطعة صلبة- فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ. فَقَالَ : " أَنَا نَازِلٌ ". ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِعْوَلَ ، -أي المسحاة- فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ ، أَوْ أَهْيَمَ ، -أي رملا سائلا - فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : عِنْدِي شَعِيرٌ، وَعَنَاقٌ . فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ -أي

الحجارة ـ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ : طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ، أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ : " كَمْ هُوَ ؟ " فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ : " كَثِيرٌ طَيِّبٌ ". قَالَ : " قُلْ لَهَا : لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ ". فَقَالَ : " قُومُوا ". فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ : وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ : هَلْ سَأَلَكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ. فَقَالَ : " ادْخُلُوا، وَلَا تَضَاغَطُوا ". فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ : " كُلِي هَذَا، وَأَهْدِي ؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ ". البخاري (٤١٠١) .

فيه تثبيت جوعهم في الخندق، رغم استعدادهم للقتال، وصبرهم على ذلك، ومشاركة القائد لهم جوعا وعملا .

قال النووي رحمه الله: " وقد تضمن هذا الحديث علمين من أعلام النبوة : أحدهما : تكثير الطعام القليل . والثاني : علمهُ صلى الله عليه وسلم بأن هذا الطعام القليل الذي يكفي في العادة خمسة أنفس أو نحوهم سيكثر فيكفي ألفا وزيادة ، فدعا له ألفا قبل أن يصل إليه ، وقد علم أنه صاع شعير وبهيمة ، والله أعلم".

١٥ـ الحديث الخامس عشر : مجاعة خيبر :

سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ ، فَقَالَ : أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ يَوْمَ خَيْبَرَ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَصَبْنَا لِلْقَوْمِ حُمُرًا خَارِجَةً مِنَ الْمَدِينَةِ، فَنَحَرْنَاهَا، فَإِنَّ قُدُورَنَا لَتَغْلِي إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنِ اكْفَئُوا الْقُدُورَ، وَلَا تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمُرِ شَيْئًا. فَقُلْتُ : حَرَّمَهَا تَحْرِيمَ مَاذَا ؟ قَالَ : تَحَدَّثْنَا بَيْنَنَا، فَقُلْنَا :

حَرَّمَهَا الْبَتَّةَ، وَحَرَّمَهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تُخَمَّسْ. البخاري (٤٢٢٠) مسلم (١٩٣٧).

فيه بيان مجاعة الصحابة رضي الله عنهم في غزوة خيبر ، وحرمة لحوم الحُمر الأهلية ، لكونها تأكلُ العذرة ، وبيان ما كان عليه الجيل الأول من عناء في العيش ، ومتاعب في الحياة .

١٦ـ الحديث السادس عشر : مجاعةُ تبوك :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، شَكَّ الْأَعْمَشُ، قَالَ : لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا، فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، -أي إبل السقي- فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " افْعَلُوا ". قَالَ : فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " نَعَمْ ". قَالَ : فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ. قَالَ : فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ. قَالَ : وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ. قَالَ : وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ. قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ. ثُمَّ قَالَ : " خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ ". قَالَ : فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ. قَالَ : فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ ". مسلم (٢٧).

فيه إثبات مجاعتهم في غزاة تبوك، وارتباط الجوع بالسفر والجهاد ، واحتياجه للميرة والغوث، ولين رسول الله مع

أصحابه واستماعه لآرائهم ، وفيه منقبة لعمر وتلطفه في المقترح السديد، واستحباب المشاركة في الطعام والدعاء بالبركة .

قال النووي رحمه الله :" وفيه : أنه لا ينبغي لأهل العسكر من الغزاة أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بغير إذن الإمام ، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة ، أو خاف مفسدة ظاهرة . والله أعلم .

قوله : (فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إن فعلت قل الظهر) فيه جواز الإشارة على الأئمة والرؤساء . وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه إذا ظهرت مصلحته عنده ، وأن يشير عليهم بإبطال ما أمروا بفعله . والمراد بالظهر هنا الدواب ؛ سميت ظهرا لكونها يركب على ظهرها ، أو لكونها يستظهر بها ويستعان على السفر .

١٧ـ الحديث السابع عشر : صبرُ الجياع :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ حَسَنَةَ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ فَنَزَلْنَا بِأَرْضٍ كَثِيرَةِ الضِّبَابِ، فَاتَّخَذْنَا مِنْهَا فَطَبَخْنَا فِي قُدُورِنَا، فَسَأَلْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : (أُمَّةٌ فُقِدَتْ " أَوْ : " مُسِخَتْ ـ شَكَّ يَحْيَى ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ". فَأَمَرَنَا فَأَكْفَأْنَا الْقُدُورَ. قَالَ وَكِيعٌ : " مُسِخَتْ فَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ). فَأَكْفَأْنَاهَا، وَإِنَّا لَجِيَاعٌ.

المسند (١٧٧٥٩). وسنده صحيح .

فيه بيانُ ما كان عليه الصحابة من شظف في العيش ، ومسغبة في الحياة، وكراهية أكل الضباب.

١٨ـ الحديثُ الثامن عشر : تعاون الجياع وشركتهم :

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ). البخاري (٢٤٨٦) مسلم (٢٥٠٠).

فيه استحباب المشاركة مع الطعام، وأن يد الله على الجماعة ، ونبذ الحسد والأنانية، قال تعالى:(إنما المؤمنون إخوة) . سورة الحجرات .

قال في الفتح : قوله: (إذا أَرملوا) أي فنيَ زادهم، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة كما قيل في { ذا متربة } .

قوله: (فهم مني وأنا منهم) أي هم متصلون بي، وتسمى " من " هذه الاتصالية...، وقيل: المراد فعلوا فعلي في هذه المواساة. وقال النووي: معناه المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى. وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعريين قبيلة أبي موسى، وتحديث الرجل بمناقبه، وجواز هبة المجهول، وفضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضا. والله أعلم.

١٩ـ الحديث التاسع عشر : تطاولُ الجياع :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ وَلَدَتْ رَبَّتَهَا - أَوْ رَبَّهَا - وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا ". قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ، وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ ؟ قَالَ : " الْعَرَبُ ". المسند (٢٩٢٤).

وهذا لفظه . وأصله في الصحيحين من حديث عمر بلفظ (أَنْ

تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ).

فيه تطاول الجياع بعد غناهم، ونسيان نعمة الله عليهم، وأن ذلك من علامات الساعة .

قال النووي رحمه الله : " أما " العالة " فهم الفقراء ، والعائل: الفقير ، والعيلة الفقر ، وعال الرجل يعيل عيلة أي افتقر . والرِعاء بكسر الراء وبالمد ، ويقال فيهم : رعاة ؛ بضم الراء وزيادة الهاء بلا مد ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تُبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان . والله أعلم ".

٢٠ـ الحديثُ العشرون : جوع البيت النبوي :

عَنْ عُرْوَة عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ. قَالَ : قُلْتُ : يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ ؟ قَالَتِ : الْأَسْوَدَانِ ؛ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ. البخاري (٢٥٦٧) مسلم (٢٩٧٢) .

فيه بيان حال البيت النبوي وأكله وطبخه، واظهار فقره وتعففه .

قال في الفتح : قوله: (ما يُعيشكم) بضم أوله يقال أعاشه الله عيشة، وضبطه النووي بتشديد الياء التحتانية، وفي بعض النسخ : " ما يغنيكم "

" وفي هذا الحديث ما كان فيه الصحابة من التقلل من الدنيا في أول الأمر. وفيه فضل الزهد، وإيثار الواجد للمعدم، والاشتراك فيما في الأيدي. وفيه جواز ذكر المرء ما كان فيه من الضيق بعد أن يوسع الله عليه تذكيرا بنعمه وليتأسى به غيره".

٢١- الحديث الحادي والعشرون : الغزاةُ الجياع :

عن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قال : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ، إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ -أي شجر العضاه- وَهَذَا السَّمُرُ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي -أي توبخني- عَلَى الدِّينِ ، لَقَدْ خِبْتُ إِذَنْ وَضَلَّ عَمَلِي. البخاري (٦٤٥٣) مسلم (٢٩٦٦).

فيه بيان فقر الصحابة رضي الله عنهم، وكشف الشدائد التي مروا بها ، وأكل ورق الشجر لحظات الجوع وقسوة الحياة ، وجواز التحدث بنعمة الله .

قال في الفتح رحمه الله :" قال ابن الجوزي: إن قيل: كيف ساغ لسعد أن يمدح نفسه ومن شأن المؤمن ترك ذلك لثبوت النهي عنه، فالجواب أن ذلك ساغ له لما عيره الجهال بأنه لا يحسن الصلاة فاضطر إلى ذكر فضله، والمدحة إذا خلت عن البغي والاستطالة وكان مقصود قائلها إظهار الحق وشكر نعمة الله لم يكره، كما لو قال القائل: إني لحافظ لكتاب الله عالم بتفسيره وبالفقه في الدين؛ قاصدا إظهار الشكر أو تعريف ما عنده ليستفاد، ولو لم يقل ذلك لم يعلم حاله ولهذا قال يوسف عليه السلام: { إني حفيظ عليم }، وقال علي: سلوني عن كتاب الله، وقال ابن مسعود: لو أعلم أحدا أعلم

بكتاب الله مني لأتيته، وساق في ذلك أخبارا وآثارا عن الصحابة والتابعين تؤيد ذلك ".

٢٢ـ الحديث الثاني والعشرون : القُوتُ اليسير :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا) . البخاري (٦٤٦٠) مسلم (١٠٥٥). وفي لفظ البخاري (ارزق آل محمد) على سبيل الدعاء ، والأول أحسن .

فيه الدعاء بطلب القوت والقليل، الذي يقيت المرء وينفع عن السؤال ، وبيان زهد رسول الله وتعففه .

قال في الفتح : قال ابن بطال: فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك؛ رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثارا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك.

وقال القرطبي: معنى الحديث أنه طلب الكفاف فإن القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعا والله أعلم.

٢٣ـ الحديث الثالث والعشرون : فقراء أهل الصفة :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ، أَوْ سَادِسٌ). وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشَرَةٍ. البخاري (٦٠٢) مسلم (٢٠٥٧).

فيه فضل الإحسانِ إلى الناس وإضافتهم ، وكشف حال المجتمع وما فيه من جياع ومحتاجين ، وسعة إكرام رسول الله .

قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث فضيلة الإيثار والمواساة ، وأنه إذا حضر ضيفان كثيرون فينبغي للجماعة أن يتوزعوهم ، ويأخذ كل واحد منهم من يحتمله ، وأنه ينبغي لكبير القوم أن يأمر أصحابه بذلك ، ويأخذ هو من يمكنه .

قوله : (وإن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم بعشرة) هذا مبين لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الأخذ بأفضل الأمور ، والسبق إلى السخاء والجود ؛ فإن عيال النبي صلى الله عليه وسلم كانوا قريبا من عدد ضيفانه هذه الليلة ، فأتى بنصف طعامه أو نحوه ، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بثلث طعامه أو أكثر ، وأتى الباقون بدون ذلك ، والله أعلم .

٢٤- الحديث الرابع والعشرون : الدعاءُ بالجوع :

عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، قَالَ : " اللَّهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ ". أَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ، وَالْمَيْتَةَ، وَالْجِيَفَ، وَيَنْظُرَ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ. فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ } . إِلَى قَوْلِهِ : { عَائِدُونَ } . { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ } . فَالْبَطْشَةُ : يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ مَضَتِ الدُّخَانُ،

وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ. البخاري (١٠٧٠) مسلم (٢٧٩٨).

فيه الدعاء على الأعادي بالجوع وضيق المعيشة ، وأنه سبب للهلاك، وحُسن خلق رسول الله وشفقته بالخلق .

٢٥ـ الحديث الخامس والعشرون : الجوع قديما :

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، قَالَ : نَدَبَنَا عُمَرُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلُ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ فَقَالَ : لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ : سَلْ عَمَّا شِئْتَ. قَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالَ : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعَرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرَضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا،....البخاري (٣١٥٩) .

فيه أن الجوع داء قديم في الناس ، ولا تزال الشكاية منه قائمة ، ويفترض مع الوضع العالمي الحديث وسهولة النعم وتذليلها من الله تعالى، أن تكون مكافحة الجوع صادقة جادة .

قال في الفتح : وفي الحديث منقبة للنعمان ، ومعرفة المغيرة بالحرب وقوة نفسه وشهامته وفصاحته وبلاغته، ولقد اشتمل كلامه هذا الوجيز على بيان أحوالهم الدنيوية من المطعم والملبس ونحوهما، وعلى أحوالهم الدينية أولا وثانيا، وعلى معتقدهم من التوحيد والرسالة والإيمان بالمعاد، وعلى بيان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وإخباره بالمغيبات ووقوعها كما أخبر، وفيه فضل المشورة وأن الكبير لا نقص عليه في مشاورة من هو دونه، وأن المفضول قد يكون أميرا على الأفضل، لأن الزبير بن العوام

كان في جيش عليه فيه النعمان بن مقرن والزبير أفضل منه اتفاقا. وبيان ما كان العرب عليه في الجاهلية من الفقر وشظف العيش..!

٢٦- الحديث السادس والعشرون : إيثار الأبوين على الأبناء في الجوع :

عَنْ ابن عمر رضي الله عنهما في قصة النفر الثلاثة أصحاب الصخرة .... وفيه : فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ-أي يصيحون- ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا. فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ... البخاري (٣٤٦٥) مسلم (٢٧٤٣).

فيه فضل الأبوين وتقديمهما في البر على الصغار، وأن حقهما أعظمُ .

قال في الفتح رحمه الله:" وفيه فضل بر الوالدين وخدمتهما ، وإيثارهما على الولد والأهل، وتحمل المشقة لأجلهما، وقد استشكل تركه أولاده الصغار يبكون من الجوع طول ليلتهما مع قدرته على تسكين جوعهم فقيل: كان في شرعهم تقديم نفقة الأصل على غيرهم، وقيل: يحتمل أن بكاءهم ليس عن الجوع، وقد تقدم ما يرده. وقيل: لعلهم كانوا يطلبون زيادة على سد الرمق. وهذا أولى ".

٢٧- الحديث السابع والعشرون : جوع العلماء :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ : أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِبَعِ بَطْنِي، حَتَّى لَا آكُلُ الْخَمِيرَ، وَلَا أَلْبَسُ الْحَبِيرَ ، وَلَا يَخْدُمُنِي فُلَانٌ وَلَا فُلَانَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الْآيَةَ هِيَ مَعِي ؛ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا، فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا، فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا. البخاري (٣٧٠٨) مسلم (٢٤٩٢).

فيه بيان جوع علماء الصحابة، وما لحقهم من المشاق ، ومنقبة لأبي هريرة في تفرغه للعلم وجمعه، وتفريغ الذهن لحفظه، وايثاره كل ذلك على الخمير وهو العجين المخمّر، ولبس الجديد المغري . قال بشر بن الحارث رحمه الله : "الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق".

قال في الفتح : والحَبير من البرد ما كان موشى مخططا، يقال: برد حبير وبرد حبرة بوزن عنبة على الوصف والإضافة... قوله: (لأستقرئ الرجل) أي: أطلب منه القرى فيظن أني أطلب منه القراءة، .

وفِي رواية مسلم (أخدمه على ملء بطني) قال النووي:" أي : ألازمه وأقنع بقوتي ، ولا أجمع مالا لذخيرة ولا غيرها ، ولا أزيد على قوتي ، والمراد : من حيث حصل القوت من الوجوه المباحة ، وليس هو من الخدمة بالأجرة" .

ويروى عن الإمام أحمد -رحمه الله- أنه صلى حينما ذهب إلى اليمن بالإمام عبدالرزاق الصنعاني صاحب المصنف فسها الإمام أحمد، فسأل عنه عبدالرزاق فأُخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئًا .

٢٨ـ الحديث الثامن والعشرون : إشراك الجياع والفقراء :

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ : آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ : " يَا أَبَا هِرٍّ ". قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " الْحَقْ ". وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ : " مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ ". قَالُوا : أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ. قَالَ : " أَبَا هِرٍّ ". قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي ". قَالَ : وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ؟ كُنْتُ أَحَقَّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا. فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ : " يَا أَبَا هِرٍّ ". قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " خُذْ فَأَعْطِهِمْ ". قَالَ : فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ

الْقَدَحَ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ : " أَبَا هِرٍّ ". قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ ". قُلْتُ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " اقْعُدْ فَاشْرَبْ ". فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ : " اشْرَبْ ". فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : " اشْرَبْ ". حَتَّى قُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا. قَالَ : " فَأَرِنِي ". فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ.
البخاري (٦٤٥٢).

فيه استحباب إشراك الجياع في الطعام، وأن يد الله على الجماعة، وفضل أهلِ الصفة وأنهم أضياف الإسلام، واعتناء رسول الله بهم، ومسؤولية الإمام تجاه رعيته، وجواز سكنى المسجد للحاجة، ويستفاد منه صحة نبوة رسول الله، ومباركة الشيء اليسير، فضلا من الله ورحمة، وفيه تواضع المختار، ومنقبة ظاهرة لأبي هريرة رضي الله عنه، ومشروعية تقديم الضيف على أهل الدار وصاحب المكان .

٢٩ـ الحديث التاسع والعشرون : فضلُ الكفاف :

عن عبدِ اللَّه بن عمرو بنِ العاصِ رضي اللَّه عنهما ، أَن رسول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال : (قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسلَمَ ، وكَانَ رِزقُهُ كَفَافاً ، وَقَنَّعَهُ اللَّه بِمَا آتَاهُ) . (١٠٥٤) مسلم.

فيه فضل الرزق الكفاف والتقلل من الدنيا ، وأهمية القناعة، المريحة للروح والقلب، والمورثة للزهد .

قال النووي رحمه الله : قوله صلى الله عليه وسلم : (قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه) الكفاف : الكفاية بلا زيادة ولا نقص . وفيه فضيلة هذه الأوصاف ،

وقد يحتج به لمذهب من يقول : الكفاف أفضل من الفقر ومن الغنى .

٣٠- الحديث الثلاثون : البيات بلا عشاء :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِي الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ. الترمذي (٢٣٦٠) وهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فيه بيان حالة الفقر الشديدة التي كانت تغشى رسولَ الله عليه الصلاة والسلام وآل بيته وصبرهم على ذلك .

قال في التحفة : قوله : (يبيت الليالي المتتابعة طاويا) أي جائعا . قال في النهاية : طوى من الجوع يطوي طوى فهو طاو أي خالي البطن جائع لم يأكل انتهى

(لا يجدون عشاء) بالفتح الطعام الذي يؤكل عند العشاء بالكسر وهو أول الظلام أو من المغرب إلى العتمة ، أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر .

٣١- الحديثُ الحادي والثلاثون : الاعتدال في الأكل:

عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ). الترمذي (٢٣٨٠).

فيه بيان فضل الاقتصاد في الطعام، وكراهية الشبع الزائد ، وأن قلة الأكل سبب للعمل والنشاط . وقال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وقعدت الأعضاء عن العبادة.

قال في التحفة : (شرا من بطن)

صفة وعاء ، جعل البطن أولا وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه ثم جعله شر الأوعية لأنها استعملت فيما هي له والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرا منها.

٣٢- الحديث الثاني والثلاثون : الجوع من تأخر الغيث :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ :" أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً -أي سحاب متفرق - فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ،... " البخاري (٩٣٣) مسلم (٨٩٧).

فيه أن الغيث رحمة، وأن انقطاعه سبب للجوع وفساد مصالح الناس ، وسبب في هلكة العيال والدواب ، وسؤال الله عند الشدة والرزايا.

قال في الفتح : " وفيه الأدب في الدعاء حيث لم يدع برفع المطر مطلقا لاحتمال الاحتياج إلى استمراره فاحترز فيه بما يقتضي رفع الضرر وبقاء النفع، ويستنبط منه أن من أنعم الله عليه بنعمة لا ينبغي له أن يتسخطها لعارض يعرض فيها، بل يسأل الله رفع ذلك العارض وإبقاء النعمة. وفيه أن الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل وإن كان مقام الأفضل التفويض لأنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بما وقع لهم من الجدب، وأخر السؤال في ذلك تفويضا لربه، ثم أجابهم إلى الدعاء لما سألوه في ذلك بيانا للجواز وتقرير السنة في هذه العبادة الخاصة.."

٣٣- الحديث الثالث والثلاثون : الجوع فى القيامة :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (كُفَّ جُشَاءَكَ عَنَّا ؛ فَإِنَّ أَطْوَلَكُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ شِبَعًا فِي دَارِ الدُّنْيَا). الترمذي (٢٤٧٨) ابن ماجه(٣٣٥٠).

فيه ذم الشبع، وأن الجُشاء دليل على الإفراط في الطعام، وكراهته مع الجماعة . قال العلامة ابن القيم رحمه الله " : وأما فضول الطعام : فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر ؛ فإنه يحرك الجوارحَ إلى المعاصي ، ويثقلُها عن الطاعات ، وحسبك بهذين شرا ، فكم من معصية جَلَبها الشبعُ ، وفضول الطعام ، وكم من طاعة حال دونها ؛ فمن وُقِي شرَّ بطنه ؛ فقد وُقِي شراً عظيما ، والشيطان أعظم ما يتحكَّم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام " .... " ولو لم يكن من الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله عز جل ، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعةً واحدةً جَثَم عليه الشيطانُ ، ووعده ، ومنَّاه ، وشهَّاه وهام به في كل وادٍ ؛ فإن النفس إذا شبعت تحرَّكت ، وجالت وطافت على أبواب الشهوات ، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت. "

قال في التحفة: قوله : (تجشأ رجل) بتشديد الشين المعجمة بعدها همزة أي يخرج الجشاء من صدره وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع ، وقيل عند امتلاء المعدة .

٣٤- الحديث الرابع والثلاثون : علاج الجوع :

عَنْ أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:(يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنِ النَّاسُ جَاعُوا حَتَّى لَا تَبْلُغَ مَسْجِدَكَ مِنَ الْجَهْدِ - أَوْ لَا تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ مِنَ الْجَهْدِ - فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ ؟ ". قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : " تَعَفَّفْ). المسند (٢١٤٤٥).

فيه استحباب التعفف حين غلبة الجوع، وحصول المسغبة العامة، ومجاهدة الحركة بالسكون والعفاف . قال الحسن البصري : " إذا أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقلل من الأكل" .

٣٥- الحديث الخامس والثلاثون : جوعُ الأطفال :

عن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه أنه دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيهِمَا ؟ قَالَتِ : الْجُوعُ. فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَوَجَدَ دِينَارًا بِالسُّوقِ، فَجَاءَ إِلَى فَاطِمَةَ فَأَخْبَرَهَا، فَقَالَتِ : اذْهَبْ إِلَى فُلَانٍ الْيَهُودِيِّ فَخُذْ لَنَا دَقِيقًا. فَجَاءَ الْيَهُودِيَّ فَاشْتَرَى بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَنْتَ خَتَنُ هَذَا الَّذِي-أي زوج بنته- يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : فَخُذْ دِينَارَكَ وَلَكَ الدَّقِيقُ.... الحديث، وفيه قصة اللُقطة المعادة بعد الانتفاع . أبو داود (١٦١٧).

فيه جوع الخيار، وحرج الأبوين من بكاء الصغار ، وقيام الاب بدوره في النفقة والعمل، والانتفاع باللقطة، وردها وضمانها إذا جاء صاحبها

٣٦- الحديث السادس والثلاثون : غوث الجياع :

عَنْ جرير رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ ، أَوِ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ -أي تغير- وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ : " { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } إِلَى آخِرِ الْآيَةِ { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } ، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ { اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ } تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ". قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ : ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ". مسلم (١٠١٧).

فيه نجدةُ رسول الله للقوم الجياع، ووجوب ووقوف المؤمن مع إخوانه المحتاجين ، وحفز غ الآخرين لذلك .

قال النووي رحمه الله: وأما سبب سروره صلى الله عليه وسلم ففرحا بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى ، وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض ، وتعاونهم على البر والتقوى ، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئا من هذا القبيل أن يفرح ويظهر سروره ، ويكون فرحه لما ذكرناه .

قوله صلى الله عليه وسلم : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها) إلى آخره ، فيه : الحث على الابتداء

بالخيرات وسن السنن الحسنات ، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات .

٣٧- الحديث السابع والثلاثون : إطعامُ الجوعى :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ).

البخاري (١٢) مسلم (٣٩).

فيه فضل خصلتي الإطعام وإفشاء السلام، وهي متضمنة لعلاج مشكلة الجوع والفقر، ورحمة الناس وتضييفهم.

قال في الفتح رحمه الله:" وخص هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف. ويدل على ذلك أنه عليه الصلاة والسلام حث عليهما أول ما دخل المدينة، كما رواه الترمذي وغيره مصححا من حديث عبد الله بن سلام.

٣٨- الحديث الثامن والثلاثون : عملُ الجياع :

عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ). البخاري (١٤٧١) .

فيه فضل العمل وتجنب المسألة والمذلة، وتشجيع الناس على الاكتساب ولو شيئا مهنيا غريبا .

قال في الفتح رحمه الله: وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من

ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسئول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل،..

٣٩- الحديث التاسع والثلاثون : كلنا جياع :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ : (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسُوني أُكسُكم...الحديث) مسلم (٢٥٧٧).

هذا حديث شريف القدر عظيم المنزلة كما يقول شيخ الإسلام، ولهذا كان يقول الإمام أحمد: "هو أشرف حديث لأهل الشام" وكان أبو إدريس الخولاني رحمه الله تعالى: "إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه" من هول ما فيه، وعظم قدره.

فيه سعة رحمة الله بعباده، وأنه مصدر الغيث والرزق والإحسان للخلائق ، ودوام فقر العباد ، واحتياجهم إلى ربهم تعالى(أنتم الفقراء إلى الله والله الغني الحميد) سورة فاطر ، وضرورة صبّهم مسائلهم إلى الباري عز وجل، وخص هنا الطعام والكساء لأنها غالب اهتمام المرء اليومي .

٤٠- الحديث الأربعون : الجار الجائع :

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما آمنَ بي من باتَ شبعان وجاره جائع

إلى جنبه وهو يعلم به). الأدب المفرد (١٠٧) أبو يعلى (٢٦٧١). وسنده حسن .

فيه حُسن تواصل أهل الإسلام لا سيما الجيران والبيوت المتلاصقة، وتفقد بعضهم بالصدقة والهدية وطيب التواد ، وذم الاستئثار بالنعم على الجار المحتاج والمتعفف .

٤١- الحديث الحادي والأربعون: النفس الشابعة :

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا) .

فيه ذمّ النفس الشابعة، وكراهية الاستكثار من الدنيا مالا وطعاما وامتلاكا، وفضل القناعة كما تقدم .

معنى: ومن نفس لا تشبع أي: وأعوذ بك من نفس لا تقنع بما آتيتها من خيرك وعطائك, ولا تشبع من جمع الحطام, والحرام، ولا تشبع من كثرة الطعام والملاذ, وفيه دليل على أهمية الزهد والقناعة، وأن الاستطالة الدنيوية مذمومة بلا ارتياب .

تمت بحمد الله أربعون الجوع والجياع، نفعنا الله بفقهها، ورزقنا العظة والاعتبار..